أسماء الله الحسنى

19

المحصي المبدئ المعيد

بقلم: د. وجيه يعقوب السيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى



كانَ أَميرُ الْمؤمنينَ عمرُ بنُ الْخطَّابِ يجلسُ مع كَعْبِ الأَحْبارِ فقالَ له :

ـ ويْحَكَ يا كَعْبُ ! حدِّثْنا منْ حديثِ الآخرةِ .

فقالَ كعبُ :

ـ نعمْ يا أَميرَ الْمُؤْمنينَ ! إذا كان يومُ الْقيامة رُفِعَ اللَّوْحُ الْمَحفوظُ ، فلمْ يبْقَ أَحدٌ منَ الْخلائقِ إلا وهو ينظُرُ إلى عَمله ، ثم يُؤْتَى بالصُّحُف التي فيها أعْمالُ الْعباد فتُنْشَرُ حولَ الْعرشِ ، ثم يُدْعَى الْمؤْمنُ فيُعْطَى كتابهُ بيمنيه فينظُرُ فيه ، فإذا حَسَناتُهُ بادياتٌ للنَّاسِ ، كما يَجدُ سَيِّئاته مُدوَّنةً أَيْضًا ، فيشْعرُ بأَنَّ ما قدَّمهُ منْ عملٍ لا يكْفي لدُخول الْجنَّة ،

لكنْ مِن رحمةِ اللّهِ يجدُ فى آخرِ الصَّحيفةِ : أنه مَغْفُورٌ له وأنهُ من أَهْلِ الْجنةِ .

وأَضافَ :

وأمَّا الْكافرُ فيُدْعَى ويُعْطَى كتابهُ بشِماله ثم يُلَفُّ فَيُجْعَل من وراءِ ظَهْرِه ويُلْوَى عُنُقُه ، فينظرُ فى كتابه فإذا سَيِّئَاتُهُ باديات للنَّاسِ .

وهنا اسْتَغْفَرَ الْحاضرونَ وقالوا :

ـ اسْتَغْفِروا اللّهَ منَ الصَّغائرِ قبلَ الْكبائرِ ، لأَن اللّهَ يُحْصِيها ، فإيَّاكمْ ومُحقراتِ الذُّنوبِ ، فإنها تجتمعُ على صَاحبِها حتى تُهْلِكَهُ .

فسُبْحانَ الْمُحْصِى الْمُحيطِ بكلِّ شىءٍ علمًا ، الذى يُحصِى الطَّاعاتِ ويكافئُ عليها ، ويُحْصِى السَّيئاتِ ويُجَازى بها ، فهوَ سُبْحانَهُ الذى أحْصى كلَّ شىءٍ بعلْمه فلا يفوتُهُ منها دقيقٌ ولا يَشْغَلُهُ شىءٌ عَنْ شَىْءٍ .

قال (تعالَى) :

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ

كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا
وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . (الكهف : ٤٩)

والإنسانُ العاقلُ الذى يُدرِكُ حقيقةَ هذا الاسْمِ ومَعْناه الدَّقيقُ ، لا يَليقُ به أنْ يضعَ نفسَه فى مكانٍ تُحْصَى عليه سَيئاتُهُ وتُكْتَبُ ذنوبُهُ ، بلْ عليه أنْ يَضعَ نفْسَه فى الْموضِعِ الذى يُحبُّ أن يراهُ اللّه (تعالَى) فيه ، وهو مَوْضِعُ الطَّاعَة وأعمالِ الْبرِّ والإحْسانِ .

إنَّ الإنسانَ على مدى عُمره الْقصير ، يقومُ بالْعديد من الأفعال ، وعنْدما يتقدَّمُ به الْعُمُر قدْ يذْكُر بعْضَها وقدْ ينسى الكثيرَ منها ، لكنَّ اللّهَ (تعالَى) الْمُحْصِى لا ينْسى شْيئًا ولا يفوتُهُ تدْوينُ شْيءٍ ، فملائكتُهُ الْكِرامُ الْبررَةُ يكْتبونَ كلَّ شيءٍ ويسجِّلونَهُ بدقَّةٍ فى سجلِّ أعْمالِ الْعبْد ، حتى تُعْرضَ عليه يومَ الْقيامة ، لئلاَّ يجادلَ أو ينكرَ ، فلا مجالَ للْجدلِ أو الإنْكارِ .

قال (تعالَى) :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . (المجادلة : ٦)

وفى هذه الآية تحذيرٌ لكلِّ إنسانٍ من النِّسْيانِ أو التَّهاوُنِ ، وتذْكيرٌ له بأنْ يستعدَّ لهذه اللَّحْظةِ حتى تكونَ صَحيفَتُهُ بيْضاءَ ناصعةَ البياضِ .

وإذا تأمَّلَ الإنْسانُ فى نِعَمِ اللَّه عليه : نعْمةَ السَّمْعِ والْبَصَرِ والْعَقْلِ والإيمانِ والرِّزْقِ .. إلخ ، وحاولَ أنْ يُحْصِىَ هذه النِّعَمَ ويعرفَ عددَها فلنْ يسْتطيعَ ، لأنَّ نعمَ اللَّه علينا أكثرُ من أنْ تُحْصَى ، ومع ذلك فنحْنُ نسْتَمْتِعُ بها ونغفلُ عن شكْرِ الْمنعمِ بها علينا .

قال (تعالَى) :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ . (إبراهيم : ٣٤)

ولذلكَ فقدْ كانَ الرسولُ ﷺ وهو يُدركُ هذه الْحقيقةَ يدعو ربَّهُ قائلاً :

ـ «اللهمَّ لا نُحْصِى ثناءً عليكَ أنتَ كما أثْنَيْتَ على نَفْسك» .

ولذلكَ فعلى الْمسلمِ الصَّادقِ ، أَن يُكْثرَ منَ الْحمْدِ والشُّكْرِ للَّه الذى أفَاضَ عليه بالنِّعَمِ والْعَطايَا ، وأنْ يُراقبَ

اللَّهَ فى السرِّ والْعَلَنِ ، لأَنَّهُ (تعَالَى) هو الْمُحْصِى الذى يُحْصِى أَعمالَ الناسِ عليهِمْ ، ولا يَنْبغى للإنْسان أَنْ يَعْصِىَ رَبَّهُ الْكَرِيمَ الذى أَسْبغَ عليه نِعَمًا لا تُحْصَى ولا تُعَدُّ .

سُبحانَ اللَّهِ وبحمْده ، سُبْحانَ اللَّه عددَ خلْقه ، ورِضَا نَفْسه ، وزِنَةَ عَرْشه ، ومدادَ كَلماته ، اللهمَّ إنا لا نُحْصِى ثناءً عليكَ أَنتَ كما أَثْنَيْتَ على نفْسكَ ، فلكَ الْحمدُ مِلْءَ السموات ومِلْءَ ما شِئتَ مِنْ شَىْءٍ بَعْدُ !



عِنْدَمـا شـاءتْ إرادَةُ اللَّه أنْ يَجْـعلَ له خليـفَـةً فى الأَرضِ ، لِيَعْمُرَهَا وينْتَشرَ نَسْلُه فيـها ، خلقَ آدمَ (عليهِ السلامُ) مِن صَلْصالٍ من حَمأٍ مَسْنُون ، وصوَّرَ آدم من هذه الطِّينَة ، وتُركَ بلا روحٍ فترةً مِن الزَّمنِ ، وكانت المَلائكةُ كلَّما مرَّتْ بهذه الصُّورةِ العجيبَة ، تعجَّبُوا منها وقالوا :

ـ مَهْمَا خلقَ اللَّهُ منْ خَلْقٍ فلنْ يكونَ أكرمَ عليه منَّا .

وبعـدَ أنْ نفخَ فيـه الرُّوحَ ، سـرتْ فيـه نَسْمَـة الْحَـيـاة ، واسْتَيقظَتْ حواسُّهُ ، فإذا به يسمعُ ويَرى ويُحسُّ . وعلَّمهُ اللَّهُ الأَسْـمـاءَ كـلَّهـا ، فظهَرَ فضْلُه وعِلْمُـه على الْمـلائكَةِ أجْمعين . ولَمْ تَتَمالكِ الْمـلائِكةُ نَفْسَهـا ، أمامَ هذه

الْمُعْجزة ، فخرَّتْ ساجدةً للّه الْمُبْدئ الذى خلق آدمَ على غيْر مثالٍ سابقٍ ، ووضعَ فيه من الْعلمِ والْحكْمة والْمعْرفة ما عجزُوا عن مُجاراته ، فسلَّموا بأمْر اللّه وحكْمته وقُدْرته ، وراحوا يُسبِّحون بحمْده قائلين : ﴿ سُبْحانَكَ لا علْمَ لَنا إلاَّ ما علَّمْتَنا إنَّكَ أنْتَ الْعَليمُ الْحَكيمْ ﴾ . (البقرة : ٣٢)

فسُبْحانَ الْمُبْدئ الذى أوْجدَ الأشياءَ من الْعَدمِ بقدرته ، وهو (سُبْحانهُ وتعالَى) كانَ قبْلَ كلِّ شىْءٍ ثم بدأ الْخَلْقَ من الْعدمِ ، فأحْسنَ كلَّ شىءٍ خلقهُ بتقْديرٍ وتدْبيرٍ وعلْمٍ وحكْمةٍ ، والذى يتأمَّلُ فى خلقِ الإنسانِ وصُورته على هذا النَّحوِ الرَّائعِ ، يرى إلى أى مدًى كان إبْداعُ الْخالق (جلَّ وعلاَ) ، فقدْ سوَّاهُ وعدَّلَهُ ، ثم صوَّره فى أشْكالٍ شتَّى لا حَصْرَ لها : الأبيضُ والأسْودُ والطَّويلُ والْقصيرُ ، هذا إلى جانبِ أسْرارِ ما تَنْطوى عليه نُفُوسُ كلِّ هؤُلاء الْبَشرِ .

قال (تعالَى) : ﴿ ذَلكَ عالمُ الْغَيْبِ والشَّهادَة الْعَزيزُ الرَّحيمُ * الَّذى أحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وبَدأ خَلْقَ الإنْسَان

مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ . (السجدة : ٦ ـ ٩)

وإذا تأمَّل الإنسانُ حالهُ قبلَ خلْقِه لشكرَ اللَّهَ (عزَّ وجلَّ) الذى هَيَّأَ له فُرْصةَ الْوجودِ وكرَّمهُ بأنْ جعله خليفتَهُ فى أَرْضِه ، وسَخَّر له كلَّ شىءٍ ، وذلَّلَ له كلَّ صَعْبٍ .

قالَ (تعالَى) : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيراً ﴾ . (الإنسان : ١ ، ٢)

وهذه الآيةُ تشيرُ إلى أنَّ الإنْسانَ أو آدمَ (عليه السلامُ) ، مرَّتْ عليه سنواتٌ قبلَ أنْ ينفُخَ فيه اللَّهُ الرُّوحَ وهو مُلْقًى بيْنَ مكَّةَ والطَّائفِ ، وكان لا يعْرفُه أحدٌ . أو أن الإنسانَ قبلَ خلْقِه بشكْلٍ عامٍّ لمْ يكنْ لهُ ذكْرٌ أو قَدْرٌ ، حتى أوْجَده اللَّهُ منَ الْعدَمِ ونفَخ فيه من روحه ، فصارَ بعْدَ ذلك معْروفًا عنْدَ الْخلائقِ ، ولهُ قَدْرُهُ ومنْزلَتُهُ ومكانتُهُ . فهذه نعمةٌ من اللَّهِ وفضْلٌ ، ويكفى الإنسانَ تشريفًا وتكريمًا أنَّ اللَّهَ (تعالَى)

بعزّته وجلاله هو الذى اخْتارَ الإنْسانَ ورفعَ قدْره وأَعْلى شأنَهُ .

واسْمُهُ (تعالَى) الْمُبْدئُ يَقْترِنُ كثيرًا باسْمه (تعالَى) الْمُعيد ؛ وذلك حتى يتيقَّنَ النّاسُ أنَّ اللّهَ (تعالَى) الذى بدأ الْخلقَ وأوْجدهُ من الْعدمِ ، قادرٌ كذلك على إعادتهمْ بعدَ الْموت ، فَكِلاَ الأمْريْنِ : الْبَدْءُ والإعادةُ أهْونُ عند اللّهِ (عزَّ وجلَّ) .

قال (تعالَى) :

﴿ يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

(الأنبياء : ١٠٤)

وقالَ (تعالَى) :

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(الروم : ٢٧)

والْمسلمُ الذى يعرفُ هذه الْحقيقةَ ، يشكرُ ربَّه (جلَّ وعلا) الذى أوْجده منَ الْعَدمِ ، وأعْلَى منْ شأنه ورفعَ ذكْرَهُ وجعلَهُ

خليفَةً فى أَرْضِه ، ويعلمُ أنه (تعَالَى) كما بدأ الْخَلْقَ فإنه يُعيدُهُ ، فالعَوْدةُ والإعَادَةُ لَيْسَتْ صَعْبةً على اللّه ، فالّذى أَوْجدَ الإنْسانَ والكَوْنَ وكلَّ الْمخلوقاتِ من الْعدَمِ قادرٌ على أنْ يُعيدَهَا .

اللهمَّ يا مُبْدئُ ، اقْسِمْ لنا منْ خَشْيَتكَ ما تحولُ به بَيْننا وبيْنَ معْصيَتِك ، ومنَ الْيقينِ ما تهوِّنُ به علينا مَصائِبَ الدُّنيا .



كانَ الْمُشْرِكونَ على عهْدِ رسولِ اللّه ﷺ لا يؤْمنونَ بالْبَعْث ، وكانتْ عُقولهمُ الْقاصرةُ لا تتخيّلُ أنَّ الْحياةَ يُمكنُ أن تعودَ للْمَيِّت مرَّةً أُخْرى ، وكان السَّببُ الرئيسيُّ الذى يمنعهمْ مِنَ التّصْديقِ بذلكَ ، هو عدمُ إيمانهمْ باللّه ولا بقُدْرته وصِفاته وأسْمائه الْحُسْنى .

وقد تَحَدّاهمُ الْقرآنُ الْكريمُ مرّةً ، وخاطبَ وجْدانهُمْ مرةً أُخْرىَ ، وخاطب عُقُولَهم مرّةً تِلْو أُخْرى لكنهمْ عَمُوا وَصَمُّوا . وقدْ حَكى اللّهُ ذلكَ فى القُرآنِ فى أكثرِ مِنْ مَوْضِعٍ .

قالَ (تعالَى) :

﴿ انْظُرْ كَيفَ ضَربُوا لك الأمْثالَ فَضلُّوا

فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً * وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا
وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ
حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ
يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ
رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ
يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

(الإسراء : ٤٩ - ٥٢)

وفى هذه الآيات يتحدَّى اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ ، ويُخبرهمْ أَنهم لو كانوا حجارةً أَوْ حَديدًا لم يفُوتُوا اللَّهَ (عزَّ وجلَّ) ، فكأَن اللَّهَ (تعالَى) يقولَ لهم : كونُوا ما شئْتُمْ ، فإِنَّ اللَّهَ يُميتكُمْ ثم يَبْعَثكُمْ ، وسوف يدعوكُم اللَّهُ يومَ الْبَعْثِ فلا تَملكونَ أَن ترْفُضُوا ، فكلُّ شيْءٍ سوف يقومُ بأَمْرِهِ ، وتعودُ إليه الْحياةُ لكيْ يُحاسَبَ على ما قدَّمَ وأَخَّرَ .

فسبحانَ الْمُعيد الذى يعيدُ خَلْقَه بعدَ الْموت ليحاسِبَهمْ على أَعْمالهمْ ويُجازِيهمْ بها ، وهو (تعالَى) قادرٌ على ذلك دونَ مشقَّةٍ أَوْ تَعَبٍ .

إن الْبَدْءَ والإعادةَ دليلٌ على قُدرةِ اللَّهِ الْمُطْلَقَةِ وعظَمته ،

يقولُ الْعَربُ عنِ الإنسانِ الْعاجزِ الضَّعيفِ : فُلانٌ لا يُبْدِئُ ولا يُعيدُ ، فسُبحانَ الذى يُبْدِئُ ثم يُميتُ ثم يُعيدُ ، وهو على كلِّ ذلكَ قديرٌ .

قال (تعالَى) : ﴿ يَوْمَ نطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجلِّ للْكُتُبِ كَمَا بَدأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً علَيْنَا إنَّا كُنَّا فاعلِينَ ﴾ .

(الأنبياء : ١٠٤)

وهذه الآيةُ تدل على أنَّ كلَّ شىءٍ سيعودُ كما كان قبْلَ خَلْقِه ، فالسَّماءُ تُطْوَى ويُعيدُها اللَّهُ إلى الْهلاكِ والْفَناءِ فلا تكونُ شيْئًا ، أَوْ تفنى السماءُ ثم يُعيدُها اللَّهُ مرَّةً أُخرى بعدَ طَيِّها وزَوالِها على صورةٍ أُخْرى .

أما الناسُ فإنَّ اللَّهَ يحشرهُمْ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، كما بَدءُوا فى الْبُطون . فعنِ ابنِ عباسٍ قال : قامَ فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ بموْعظَةٍ فقالَ :

ـ «يأيُّها النَّاسُ إنكمْ تحشَرون إلى اللَّه حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿ كما بدأْنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُه وعْداً علَيْنا إنا كُنَّا فاعلينَ ﴾ ، ألا وإن أوَّلَ الْخلائقِ يُكْسَى يومَ الْقيامة إبراهيمُ عليه السلام» .

(رواه مسلم)

وقدْ ذكَر اللّهُ (تعالَى) الإنْسانَ بأصْلِ نشأته ووُجوده ، ثم أعْلَمَهُ بنهايَته الحَتْمية التى كَتَبها على خَلْقه ، حيثُ كتبَ عليهمُ الْفناءَ وكتبَ على نَفْسه الْبَقاءَ والدَّوامَ .

وقدْ أرادَ اللّهُ بذلك أنْ يتعرَّفَ الإنْسانُ قُدرَةَ اللّه ، وأنْ يتأمَّلَ مصيرَهُ حتى يستعدَّ ليوْمِ اللِّقاء .

قال (تعالَى) :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللّه وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْه تُرْجَعُونَ ﴾ . (البقرة : ٢٨)

ولعلَّ اقْترانَ اسْمه (تعالَى) الْمُبْدئ باسْمه الْمُعيد فيه تأكيدٌ على حقيقة مُهمة ، ينبغى أنْ يتنبَّهَ إليها الإنسانُ ، فقدْ يصنعُ الإنسانُ شيْئًا ويتقنُ صناعَته ، لكنهُ قدْ يعْجِزُ أن يُعيدَ هذا الشَّىْءَ إلى عناصرِه الأصْليَّة ، وذلك بسببِ تَحوُّل هذه الْعناصرِ وتغيُّر خصائصها وامْتزاجها بَبْعض ، لكنَّ اللّهَ (تعالَى) يُعيدُ كلَّ شَىْء إلى طَبيعَته الأصْلية دونَ أن يخْتلطَ بشَىْءٍ آخرَ أو تتغيَّرَ مَعالمُهُ .

قالَ (تعَالَى) : ﴿ قدْ علمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ . (ق : ٤)

فبعدَ الْموت يتحولُ الْجسدُ إلى تُرابٍ ، وقد يمتزجُ هذا بذاكَ ، ولكنَّ اللَّهَ (تعَالَى) عِنْدَهُ كتابٌ حَفيظٌ ، يحفظُ كلَّ شيءٍ ، ويعْرفُ أَحْجامَ الْبَشرِ وأشْكالَهم ، وهذه مَقْدِرَةٌ لا تكونُ إلا للَّهِ الْخالقِ الْقادرِ الْمُبْدئِ الْمُعيد .

رقم الإيداع : ١٤٩٩٠
الترقيم الدولي : ٩٧٧-٢٦٦-٢٥٩-٧